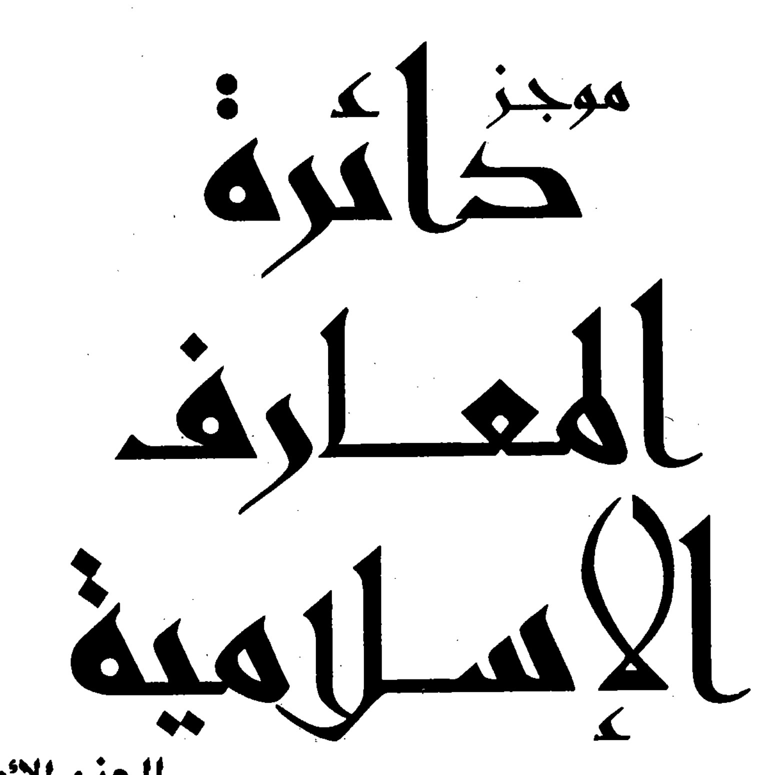
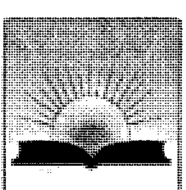


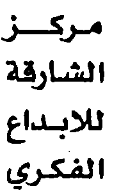
الجزء الأول

الآثار العلوية - أبو بكر

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م





النصارى

«النصـــارى أو «النصـــران» جـــمع نصرانى إلا أن الأخيـرة «نصران» تعد من قـبـيل الجـمع النادر ، و قـد وردت كلمة نصارى ـ وهى الكـلمة التى يشار بها فى العالم العربى للمـسيحيين ـ فى القرآن الكريم خمس عـشرة مرة، ويرى مـعظم المـفـسـرين و الجـغـرافــيـين والمعـجـمـيـين العـرب أن الكلمـة اسم منسوب لمديـنة الناصرة Nazareh وممن تعـرضـوا لأصل الكلمـة المسـتـشـرق جفـرى Jeffery فى كـتاب عن الكلمـات الأجنبـية فى القـرآن الكريم ـــ *The foreign vocabulary of the Quran* (بارودا *Baroda*، ١٩٣٨، ص ص ٢٨٠ـ٢٨١) .

وترجع هذه الكلمـة (النصارى) إلى الاسم الذى أطلقـه اليـهود على المسـيح عليـه السـلام وهو يسـوع الناصـرى، ومن ثم سمّى اليهود أيضاً العقيدة التى يدعـو إليهـا بالعقـيدة الناصـرية، وهذا واضح من الفقـرة رقم ٥ من الاصحاح رقم ٢٤ من أعـمال الرُّسل (.. فـإننا إذ وجدنا هذا الرجل مـفسدا ومهـيِّج فتنة بين جـميع اليـهـود الذين فى المسكونة ومقْدام شيعة الناصريين، وقد شرع أن ينجِّس الهـيكل...) وقد وصف القـديس بول فى السيـاق نفسه بأنه مـقدام (أى قـائد) النـاصـريين (المسـيـحـيـين). فـالنصـارى أو الناصـريين ـ إذن ـ هو أقدم اسم أطلق على المسيحيين، ويشـهد بصـحة هذا أن اللغة الأرمنيـة القديمة ما زالت مـحتـفظة به، ومـا زال هذا الاسم مـسـتـخـدما فى لهـجـة المالايالم Malayalam مع تحريف قليل، فـالكلمة الدالة على المسـيحـيين فى هذه اللهجـة هى Nazranikal وقـد أطـلقت على القـديس توما الذى بشّر فى جنوب الهند.

وقد حـافظ القرآن (الكريم) على هذا المصطـلح الأصلى (نـصـارى) والذى يسبق مصطلح (المسيـحيين) الذى ظهر ـ للمرة الأولى ـ فى أنطاكية فى حوالى سنة ٥٠ بعد الميـلاد كما هو واضح من الاصـحـاح الحـادى عشـر من أعـمـال الرسل، فـقـرة ٢٦.(.. ودُعى التـلاميـذ مسيحيين فى أنطاكية أولا). حقيقة إننا

نجد فى المصادر اللاحقة للفترة التى يطلق عليها فى التاريخ المسيحى فترة ما بعد الرسل Apostolic era (قبل الإسلام) قد جرى التفرقة بين مصطلحى (النصارى) و(المسيحيين) إذ أن لفظ النصارى كان يطلق - فقط - على اليهود الذين قالوا بأن المسيح عليه السلام هو ابن الله ولكنهم مع ذلك ظلوا متمسكين بمختلف الشرائع اليهودية، وظلوا متمسكين بجوانب العقيدة اليهودية الأخرى. وذلك فيما يقول تيودور بارقونى Theodoro bár kuni فى فترة متأخرة فى حوالى سنة ٨٠٠ بعد الميلاد.

وتؤكد المصادر الإيرانية هذا التمييز بين مصطلحى (النصارى) و(المسيحيين) كما هو واضح فى نقش كارتير Kartir فى بخش رستم الذى يعود لحوالى سنة ٢٨٦م. وأكدت - أيضاً - المصادر اليونانية ذلك (انظر على سبيل المثال ما كتبه ماجنن J. M. Magnin فى دورية Proche Orient Chréti-en، القدس، ١٩٧٣ - ١٩٧٨)، ولاتنكر المصادر السريانية هذا التمييز (Payne - Smith, Thesaurus, cols. 1821 & 2444 & S. P. Brock: *same aspects of Greek words in Syriac,* Göttingen, Sywposium on syn-*kretismus im syrisch - persischen Kul-turgebeit, 91 - 95).*

لكن المصطلح «نصارى» لم يرتبط فى القرآن الكريم - فيما يبدو - بطائفة اليهود المتنصرين الآنف ذكرهم Judaeco christians -، وإنما المسألة لاتعدو استخداماً للفظ قديم ظل حياً على ألسن اليهود الذين كانوا يطلقون على المسيح عليه السلام اسم الناصرى، وكان اليهود أكثر عدداً من المسيحيين فى منطقة مكة (المكرمة) والمدينة (انظر الموسوعة اليهودية Encyclopedia Judaica، القدس، الطبقه الرابعة، ١٩٧٨، جزء ١٢ عمود ١٥٢١) وقد حدث أن استخدم لفظ «النصارى» للعن المسيحيين فى الصلوات الرسمية التى يؤديها اليهود فى معابدهم (التفلا Tephilla) وقد عدَّل جمليل الثانى Gamaliel فى صيغ هذه اللعنات فى نهاية القرن الأول للميلاد (J. Bonsirven: *le Judaisme palestinien au*

temps de Jesus christ, 11, Beauchesne, 1935, 146)

ولقد أدّى تأثير بعض الجماعات التى توصف بأنها «نصارى» (على حياة محمد [ﷺ] إلى القول بأن القرآن (الكريم) دعوة نصرانية، والفقرة الأخيرة (القرآن دعوة نصرانية) هو عنوان لكتاب ألفه الأستاذ حداد ونشر سنة ١٩٦٩م لكن أيا من النتائج التى وصل إليها لايمكن الخروج بها من الاستخدام القرآنى لكلمة نصارى، فالكلمة فى القرآن الكريم تعنى المسيحيين بشكل عام الموصوفين فى كتب الملل والنحل باعتبارهم أقساماً ثلاثة: النساطرة والملكانية واليعاقبة.

وبالنسبة لكلمة مسيحى (وجمعها مسيحيون) فهى نسبة إلى المسيح (عليه السلام) وهى ترجمة لكلمة يونانية منسوبة - أيضاً - للمسيح، ويذكر السمعانى فى كتابه الأنساب أن هذه الكلمة لم تستخدم الاّ فى القرن السادس للهجرة/ الثانى عشر للميلاد، وكان استخدامها قصرًا على المسيحيين أنفسهم. وقد تسمّى بعض المسلمين باسم المسيح أو نسبة إليه فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، ومن ذلك أبو على محمد بن ذكريا المسيحى البغدادى، كما تسمت أسرة نسطورية فى بغداد أيضاً بالاسم نفسه «مسيحى». وعلى أية حال فحتى الكتاب المسيحيون يستخدمون كلمتى «النصارى» و«النصرانى» ويقصدون «المسيحيين» و«المسيحى» ويبدو أن سليمان الغزى (القرن السادس للهجرة/ أواخر القرن الحادى عشر للميلاد) هو الكاتب الوحيد - حتى هذه الفترة - الذى استخدم كلمتى «النصرانية» و«المسيحية» ككلمتين مترادفتين.

وثمة مصطلحين آخرين هما (الروم) للدلالة على المسيحيين البيزنطيين، والمصطلح الآخر هو «الإفَرنْج» وقد شاع بعد الحروب الصليبية للدلالة على المسيحيين الغربيين (فى مقابل المسيحيين الشرقيين أو البيزنطيين)

وفيما يتعلق بنظرة المسلمين للنصارى كما وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف - بشكل عام - يمكن

مراجعة مادة أهل الكتاب. أما فيما يتعلق بمسلك المسلمين إزاء غير المسلمين سواء فى الحياة اليومية أم من حيث موقف مؤسسات الدولة الإسلامية فيمكن مراجعة مادة أهل الذمّة، ولمزيد من الإحاطة لعناصر الموضوع المختلفة يمكن مراجعة مادتى القبط، والملكانيين ومادة الروم، كما تعرضت بعض المقالات الأخرى لموضوع المسيحيين فى الدول الإسلامية مثل مادتى: الفاطميون والحاكم.

لكل هذا فستقتصر مقالتنا هذه على تناول أوضاع الجماعات التى لازالت باقية من السريان الذين ينقسمون - كما هو معروف - إلى قسمين: السريان الغربيون أو اليعاقبة المنادون بالطبيعة الواحدة (Monophysitism) والتابعون لبطاركية أنطاكية، وكانوا متمركزين بشكل أساسى فى الشام الرومانية ثم البيزنطية فيما بعد وإن كان وجودهم قد امتد على نحو ما فى مناطق كانت تابعة لما كان يعرف بالإمبراطورية الفارسية. أما بالنسبة للسريان الشرقيين أو النساطرة أو النسطوريين فهم كاثوليكوس Catholicos (المترجم غير الكاثوليك المعروفين أو جاثليق وكان مركزهم المدائن (طيسفون) وكان إنتشارهم بشكل أساسى فيما كان يعرف بالإمبراطورية الفارسية (العراق وايران الحاليتين)، وكانوا أيضاً فى بعض مناطق شبه الجزيرة العربية بل وفى آسيا الوسطى. ووجدت أعداد منهم فى الهند والصين والتبت.

مسيحيو شبه الجزيرة العربية والخليج:

ظهرت مراجع حديثة تتناول هذا الموضوع ، وإن كان هذا لايمنع من أن المراجع التى سنوردها فيما يلى لازال لها قيمة غير منكورة:

J. Ryckmans: *le Christianisme en Arabie du Sud préislamique in l`oriente christiane nella storia,* A cad. linccei, quaderno no 62 (rome, 1964) 413-453 C.Hechäime, louis cheikho et Son Liure "*le christianisme dans La Litterature Chretienne en Arabie avant l'Islam in Recherches, Institut de Lettres orientales de*

Beyrouth, 2 nd series, XXXViii (Beirut, 1967)

J.spencer Trimingham: *Christiainty among the Arabs in pre - Islamic times,* Beirut, 1973.

(وهو كتاب توثيقى مهم، وإن كان يجب النظر بتحفظ لتفسيراته)

Byzantium وعرفان شاهد Irfan shahid in south Arabia, in Dumbarton Oaks Papers, XXXII, 1979, 25 - 94.

وللمؤلف نفسه مبحث آخر بعنوان

Byzautium and the Arabs in the Fourth Century, Washington D.C., 1474.

J. Beaucamp and Chr. Robin: *le Christianisme dans La Peninsule arabique d'aprés L'Epiqraphie et l'archeologie in Traveaux et Memoires, VIII (Paris, 1981) 45 - 61*

G . Fiaccadori: *Yemen Nosteriano in Studi in Onore di Edde Bresciani,* Paris 1985, 195 - 212.

الاّ أنه يمكننا أن نحدد منطقتين عُرفت منهما المسيحية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام أشار اليهما كل من بوكمب وروبن فى كتابيهما الآنف ذكره. أول هاتين المنطقتين فى الركن الجنوبى الغربى حيث المرتفعات اليمنية التى كانت فى ذلك الوقت تابعة لحِمْير (بكسر الحاء وتسكين الميم) وكان يقطنها فلاحون مستقرون يتحدثون لغة سامية مختلفة عن عربية جنوب شبه الجزيرة العربية بينما كان بقية قاطنى شبه الجزيزة العربية على البداوة ويشكلون قبائل ترتبط فيما بينها بروابط التحالف التى قد تتغير بين الحين والحين.

لقد عرفت نجران ومأرب وحضرموت المسيحية خاصة بعد الغزو الأثيوبى البيزنطى للمنطقة فى القرن السادس للميلاد. وفى سنة ٥١٨م ـ أى قبل الاسلام ـ تعرض هؤلاء النصارى لإضطهاد عنيف (انظر مواد: أصحاب الأخدود، ذو نواس، نجران، وانظر أيضاً دراسات عرفان شاهد)، وبالنسبة لمناطق شمال الحجاز والسواحل الغربية للخليج، وعمان وجزيرة سوقطرة فقد وصلتها الدعوة للمسيحية من الشمال حيث الحيرة أوْكَلَ الفُرس حكمها للعرب، وكان مسيحيو هذه المنطقة تابعين لأبرشية

(أسقفية) فارس. وقد كونوا منذ القرن الخامس للميلاد عدداً من الأسقفيات (مَشْمهيج، ودَيرْين، ومَازُون (فى عمان)، وهَجَر، ويمامة، وهتّه «الخط» وسوقطرة) وغالباً ما كانت هذه الأسقفيات المحلية ذوات نزعات انفصالية، لاتتفق مع رؤية الكرسى الأسقفى النسطورى فى المدائن (انظر فى هذا:

J. M. Fiey, *Diocéses syriaques Orientaux du Golfe Persique Memorial Mgr G. Khouri.* فى Sarkis, Louvain. 1969, 177 - 219

وأعيد طبع هذا المبحث فى

Communautes syriaques en Iran et Irak , des origines a 1552, Variorum Reprints, London, 1979.

ومن الصعب أن نوجز الوضع المتغير لمجتمعات الساحل الشرقى، فقد تحول عدد كبير من أهل هذا الساحل للدين الإسلامى وكان ذلك - إلى حد ما - بسبب اثقال كاهلهم بالضرائب التى قدرت بنصف ممتلكاتهم فيما يقول البلاذرى وكما يتضح من رسائل البطريارك إيشوعياب، وكان هذا أكثر ما يكون وضوحًا فى البحرين وعمان[1]، وأشار المستشرق فيى Fiey لأفكار المؤلف نفسها فى مبحث له بعنوان Isho yaw le Grand (فى دورية المسيحية الشرقية Orientalia Periodica Christiana ، XXXVI, 2 باريس ، ١٩٧٠ ص ص ٣١ - ٤١)

وظلت الاشارات إلى أساقفة هذه الأسقفيات حتى ما بعد سنة ٦٧٦م، وعلى أية حال فهناك ما يدل على وجود مسيحيين فى اليمامة والبحرين بين سنتى ٨٩٣م و٨٩٩م عندما حكم أبو سعيد القرمطى لفترة وجيزة، وقد حظى المسيحيون فى ظله بمعاملة حسنة وحتى سنة ٩٠٠م كان لأسقفية

---

(١) راجعنا فتوح البلدان للبلاذرى فلم نجد ما ذكره مؤلف المقال دقيقاً، ومن المعروف أن المسلمين لم يحصلوا من أهل الكتاب سوى الجزية وهى مقابل الحماية وإعفائهم من الخدمة فى الجيش الإسلامى : المترجم.

مَشْمهيج (سماهِجْ) أسقُفها المعروف (انظر فى هذا:

J. Bcaucamp & Chr. Robin: *Lévêché de Mashmahidj dans L'archipel de Bahrayn* (ve - 1xe siecles)in Dilmun "Berlin 1983" 171 - 96

ويشير نص سريانى بتاريخ ١٠٠٧ أن التنظيم الاكليريكى (الكنسى) لبلاد فارس ظل حتى هذا التاريخ مكونا من عشر أسقفيات فرعية، إلاّ أن النص - لسوء الحظ - لم يذكر أسماءها وآخر أسقفية نسطورية فى سوقطره ورد ذكرها سنة ١٢٨٣م.

وكان مسيحيو صنعاء ومناطق أخرى باليمن لازالوا يتلقون الخدمات الكنسية من الأسقف فيما بين عامى ٨٣٧ و٨٥٠ Thomas of Marga, Liver) (des supérieurs جـ٤، الفصل ٢٠)

مسيحيو العراق فى قرون الإسلام الأولى:

شهدت الأعوام التى سبقت - مباشرة - الفتح الإسلامى للعراق تغيرات مهمة فى أوضاع المسيحيين، فمنذ سنة ٤٨٦م كانت كنيسة «أرض فارس» قد أصبحت - من الناحية الرسمية - نسطورية.

وعلى أية حال فإن بعض المنشقّين أعادوا إحياء مذاهبهم وبلورتها ونظموا أنفسهم فى تنظيمات هيراركيّة كنسية أسوة بدعاة الطبيعة الواحدة، إلاّ أن نجاح هرقل فى الاستيلاء على كل شمال العراق سنة ٦٢٨ - ٦٢٩ أدى إلى حدوث تغيرات راديكالية فى الموقف، ففى ظل القوة العسكرية البيزنطية وتحت سطوة الوالى البيزنطى المتمركز فى تكريت، استطاع السّريان الغربيون من تأسيس مؤسسة دينية سُميت بعد ذلك مفريان Maphrian فى تكريت نفسها، وثمانى أسقفيات (أصبحت بعد ذلك عشرا) تغطى خدماتها كل القطاع الذى فتحه هرقل. ورغم أن هرقل كان - فى بلاده - متعاطفاً مع الملكانيين مضطهدًا لليعاقبة، الاَّ أنه فى المناطق المفتوحة (التابعة) كان يتبع سياسة مغايرة إذا

كان يشجع اليعاقبة ويتعاطف معهم ضد الكنيسة النسطورية المحلية التى احتفظت بصلاتها بالساسانيّين ومن هنا تمتع اليعاقبة بمزايا جديدة بينما فقد النساطرة ما كان لهم من تميُّز. وفى سنة ٦٣٥ رحب النساطرة واليعاقبة - على سواء - بالفتح الإسلامى، وراح كل فريق منهما يسعى للحصول على تأييد المسلمين (راجع ما كتبه فيى Fiey فى بحوث المؤتمر العلمى الثانى لتاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٨٧، ص ٩٦ - ١٠٣)

وراحت الفرقتان المسيحيتان المتنافستان تتهم كل منهما الأخرى بتحالفها مع السلطة الإسلامية، وثمة روايات قليلة عن إجبار بعض المسيحيين للتحول للإسلام، فالحقيقة أن فرض الجزية كان هو السبب الرئيسى لترك عدد كبير منهم لمسيحيتهم ودخولهم فى الإسلام، وكان عددهم كبيراً لدرجة أن الحجاج بن يوسف الثقفى الذى كان يحكم العراق باسم الأمويين كان مضطراً لمنع النبط السريان فى منطقة كسكر - واسط من الدخول فى الإسلام، بل واستغل أحاديث موضوعة لتحقيق هذا الغرض (أنظر Fiey, *Les Nabat de Kasker - Wasit dans Les Premiers siecles de L' Islam, In* Musj 51, 1990, pp.51 - 87)

(المترجم: راجع ما كتبه مستشرق أخر هو ب. كرون Crone فى مبحثه عن الوالى المنشور فى هذه الدائره إذ ينكر تماماً وبأسلوب تحليلى رصين - دعاوى كاتب هذا المقال، فالحقيقة أن الحجاج وغيره من عمال بنى أمية كانوا يقاومون هجرة الفلاحين من أراضيهم لما فى ذلك من ضرر يحيق باقتصاد الدولة، واعتبروا الفلاح الذى يهجر أرضه هارباً، ولم يعفوه من دفع خراج الأرض حتى لو هجرها، ويؤكد المستشرق نفسه أن التحول للإسلام لم يكن فى الاساس هروباً من الجزية وإنما لأسباب أخرى بعضها اجتماعى، وبعضها متعلق بوضوح الدين الجديد وبساطته)ونتيجة المنافسات بين الطائفتين المسيحيتين آنفا الذكر، وكذلك نتيجة وساطة الطبيب سرجونا -

تدخلت السلطات الإسلامية لتأييد الدِّعى يوحنا المجذوم ضد البطريرك النسطورى حنانيشوع (٦٨٥ـ ٧٠٠) ففقدت الأسقفية زعيمها الروحى طوال أربعة عشر عاماً (انظر فى هذا كتاب مارى: أخبار بطارقة المشرق، ص ٦٣ ـ ٦٤، ولصليبة كتاب يحمل العنوان نفسه، ص٥٩) ومن ناحية أخرى وجدنا الوالى خليل بن عبدالله القسرى (وكان أبوه مسيحياً) يؤيد البطريرك بثيون Pethion (٧٣١ ـ ٧٤٠) (أنظر ما كتبه مارى فى الكتاب آنف الذكر، ص ٦٦).

وترسم لنا حوليات السريان الغربيين صورة أكثر قتامة لأحوال الفلاحين فى الشام (مسيحيين وغير مسيحيين) فى ظل خلفاء بنى أمية حيث تتردد ـ بشكل مستمر ـ الكلمة السريانية (Census) الدَّالة على فرض ضرائب جديدة لبناء القصور الضِّخام التى لاينعم بها إلاّ الأمراء أو شق القنوات لرى حدائقهم، ويصبح الحال أسوأ عندما يموت الخليفة ولّما يكتمل مشروعه، أما الحوليات المسيحية فهى تروى الأحداث من وجهه نظر الشعب ـ على عكس الحوليات الإسلامية ـ لذا فهى لا تقدم لنا الصورة وردية دائماً (انظر: Fiey, The Umayyads in Syriac Sources المنشور فى سجل أبحاث مؤتمر تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٨٩ جـ٢، ص ١١ـ٢٥).

فى ظل العباسيين:

لم يكن تقلص عدد المسيحيين فى ظل الدولة العباسية ـ ناتجاً ـ فى الأساس ـ عن أعباء مالية مفروضة عليهم، وإنما كان فى الأساس خاصة بين المتعلمين من أطباء وكتّاب بسبب بعض الضغوط الإجتماعية فقد كان المسيحيون يشغلون وظائف هامشية ولا يمكنهم الاندماج فى المجتمع بشكل كامل إلا إذا تحولوا للإسلام وكان هذا أمراً ضرورياً للاحتفاظ بالمنصب أو للوصول إلى مراتب عليا. وكان المسلمون ينظرون بعين الشك إلى أولئك الذين دفعتهم مصالحهم إلى إعتناق الإسلام كحنين بن إسحق (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م) الطبيب الفيلسوف، وكان نسطورياً، وابن كمونه اليهودى

وكان كحّالاً (طبيب عيون) وفيلسوفاً (توفى ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) (انظر: Fiey, Conversions des Juifs et de chre'tiens a L'Islam Sous les Abbassides, dans les Sources arabes et Syriaques فى سجل أبحاث المؤتمر الدولى السابع عشر للعلوم التاريخية، مدريد، ١٩٩٠م) وكان الخليفة المأمون نفسه يشك فى إسلام عدد من هؤلاء الذين دفعتهم مصالحهم لإعتناق الدين الجديد، ومهما يكن من أمر فإن نسل هؤلاء المسلمين الجدد تابع الإيمان بالعقيدة الإسلامية واندمجوا فى النهاية فى المجتمع الإسلامى.

وفى بعض الأحيان كان العامة يحطمون بعض الكنائس أو ينهبونها نتيجة إشاعات مغرضة أو تقارير كاذبة عن قيام البيزنطيين بذبح الأسرى المسلمين أو عن انتصارات بيزنطية على المسلمين أو عن ممارسات قام بها ـ فيما بعد ـ الصليبيون، ومع كل هذا لا يمكن أن نزعم أن المسلمين قاموا بأية مذابح للمسيحيين.

وعلى أية حال فقد بدأت أعداد المسيحيين تقل شيئاً فشيئاً وإن كان يجب التنبيه على أن أى دراسة ذات بعد إحصائى تعتمد على التمييز بين المسلم والمسيحى وفقاً للأسماء تعتبر غير مجدية فى هذه الفترة، فأسماء على وحسن وحسين كانت أسماء إسلامية ومسيحية على سواء (أنظر: Names وحبيب زيات Habib Zayyat fore *names and Surnames of Christians in* Islam ـ أسماء المسيحيين وألقابهم فى الإسلام. نشر فى دورية «الخزانة الشرقية»جـ١، بيروت، ١٩٥٢، ص ١ـ٢٢).

المصادر :

وردت بالنص

د.عبدالرحمن الشيخ [ج.م.فى J.M.Fiey]

نصر، بنو

بنو نصر ويعرفون أيضا ببنى الأحمر نسبة إلى محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر مؤسس آخر دولة إسلاميةكبرى فى شبه جزيرة إيبريا وحكم مملكة فى أقصى جنوب أسبانيا وكانت عاصمتها مدينة غرناطة، ويقول إنه من نسل سعد بن عبادة الخزرجى